

فكر

«كيف تصنع ثورة؟»... سيرة ملهم الثورات الملونة

توفي البروفيسور الأميركي جين شارب العام الماضي عن 90 عاماً في بيته المتواضع في بوسطن بين رفوف الكتب وزهرات الأوركيد التي كان يربعها. لكن الرجل الذي يوصف بأنه واضع دليل عمل الثورات الملونة، يبعث حياً بأفكاره الملهمة عن إسقاط الحكومات التي تستهدفها الولايات المتحدة من خلال الأنشطة اللاعنفيّة المنظمة كلما اندلعت «ثورة» جديدة في مكان ما من العالم. «كيف تصنع ثورة» (2011) وثائقيّ بريطانيّ نادر متخم بتبجيل ومهدح للبروفيسور الراحل، لكنه سجل تاريخي مهم لك من يريد ان يفهم الحاضر

لنلت – سميد محمد

«بالكلمات، وليس بالسلّاح» (جين شارب 1928 - 2018)

مثلت الحرب الأميركيّة على فيتنام بكلّ نتائجها الكارثيّة وتكاليفها الباهظة مادياً وبشرياً وسياسياً نقطة تحوّل كبرى في العقل الإمبراطوري الأميركي. لقد اقتنعت تلك الحرب نخبة واشنطن بالحاجة إلى طريقة أخرى غير قتل الناس لإسقاط الأنظمة التي تستهدفها الولايات المتحدة. عند تلك اللحظة، اكتشف روبرت هارفي

– الحاصل على تكريم الجيش الأميركي لبطولاته الماثورة في قتل الفيتناميين وكان بعد تقاعده يعمل مستشاراً متعاقداً مع المخابرات الأميركيّة توفده لتوجيه الثوريين حول العالم – استناداً في «جامعة هارفارد» بـدرس للمبغوثين من أوروبا الشرقيّة ودول العالم الثالث اساليب إسقاط الحكومات من

درس شارب تمزّد تياتان مين في الصين عام 1989 ليخلص إلى أنّ اللاعنّف وصفة للهرزمة امام الأنظمة المدججة بالسلّاح

خلال اللاعنّف والمقاومة السليبيّة وأسلحة سايكولوجيّة واجتماعيّة واقتصادية. كان ذلك حين شارب. أرسل هارفي وراء شارب للاتحاق به في بورما عام 1992 حيث كان يقا تلون منذ عشرين عاماً لإسقاط النظام هناك. جاء شارب بالقرب من تايلاند إلى الإدغال الجورميّة، وأعطى نصائحَه للثوار ولخصّها لهم في 198 تكتيكاً طبّعت كمنشور بالإنكليزيّة واليورميّة قبل أن تجمع لاحقاً في كتّيب عنون بـ «من الديكتاتوريّة إلى الديمقراطية» ما لبث أن تحوّل بفضل المخابرات الأميركيّة إلى دليل عمل الثورات الملونة، فترجم إلى عشرات اللغات، وطبعت منه ملايين النسخ، ويتوافر للتحميل مجاناً على الإنترنت. كانت ردة فعل قائد المتمردين البورميين الوليّة على محاضرات شارب: «اللجنة، أين كان هذا الأميركي قبل عشرين عاماً؟».

قصة شارب مع اللاعنّف قديمة. عندما كان شاباً في مقتبل العمر وشن الأميركيّون حربهم على كوريا بداية الخمسينيات، رفض الالتحاق بالخدمة العسكريّة. لذا سُجن وقتها لعدّة أشهر. وقد كتب من سجنه لألبيرت أينشتاين – عالم الفيزياء المعروف – مستفتياً عن رايه في موقفه ذاك، فأجابته بلطف متفهماً ومؤيداً. وقد أطلق شارب لاحقاً اسم أينشتاين على المعهد الواجهة الذي مارس أنشطته من خلاله، ونشر عنه أعماله الخفيّة.

الذي وجد في الطبعة الصربيّة من دليل الثورات الملونة التي جلبها هارفي مع ملايين الدولارات من المخابرات الأميركيّة ضالته المنشورة، فوضعت استراتيجيّة متكاملة وخطة متدرجة، نفّذتها بحدافيرها وفق تكتيكات شارب حركة أطلقت على نفسها اسم «المقاومة» («أوتبور» باللغة الصربيّة). لقد سقط النظام بالفضل عام 2000 بعدما نجحت «أوتبور» في شقّ القوى الأمنيّة عبر الضغوط الاجتماعيّة واللاعنيّة من استخدام السخريّة سلاح، وتوجيه الغضب مركزاً نحو شخصيّة «الطاغية»، ميلوسيفيتش الساحة الأولى التي طبقت عليها هذه التعاليم للحدت كان بان اللاعنّف التلقائيّ بدون استراتيجيّة متكاملة، وصفة نامة للهرزمة أمام الأنظمة المدججة بالسلّاح، ولذا أصبحت سلميّة موصوفة يمكن إضعاف تلك الأنظمة لدرجة التهاوي من دون

تدمير مقدرات الدولة بالكامل. إذ من الضروري للثوار المنتصرين أن يجدوا شيئاً لحكمه. راقب شارب تمزّد تيانان مين في الصين عام 1989 عن كثب. تحليله للحدث كان بان اللاعنّف التلقائيّ بدون استراتيجيّة متكاملة، وصفة نامة للهرزمة أمام الأنظمة المدججة بالسلّاح، ولذا أصبحت سلميّة موصوفة يمكن إضعاف تلك الأنظمة للاستراتيجي للإطاحة بالأنظمة

الذي وجد في الطبعة الصربيّة من دليل الثورات الملونة التي جلبها هارفي مع ملايين الدولارات من المخابرات الأميركيّة ضالته المنشورة، فوضعت استراتيجيّة متكاملة وخطة متدرجة لتنفّذ الـ 198 تكتيكاً العتيدة. كانت صربيا المتململة من حكم سلوبيودان ميلوسيفيتش الساحة الأولى التي طبقت عليها هذه التعاليم في الجيش والشرطة، وطرق الأواني تعدهم لهجمات مستقبليّة في دول المخابرات الأميركيّة قد أوفدته إلى أوروبا الشرقيّة، سافر إلى بلغراد والعشريين، لا سيّما بعد شيوع وإغلاق الطرقات أو القيادة بسرعات

الإنترنت. وليس سرّاً أن الثورات الملونة في أوكرانيا وجورجيا وإيران وزيمبابوي وفنزويلا وما عُرف بموجة «الربيع العربي» في تونس ومصر وسوريا ولاحقاً في لبنان والعراق... جميعها عبرت عبر هذا المعهد، وتلقّى قاداتها توجيهات مكثّفة ودعماً مالياً ولوجستيّاً (منها حركة «6 إبريل» و«كفاية» في مصر، والثورة المزعومة في سوريا، وحراك «طلعت ربحنكم» في لبنان، وبيوفيتش ورفاقه اختفوا لاحقاً من المشهد السياسي في صربيا

بعد ميلوسيفيتش، إذ حصلوا على أقل من 2% من مجموع أصوات الناخبين لكن المخابرات الأميركيّة حولتهم إلى مدرّبين عالميين لثوار تعدهم لهجمات مستقبلية في دول تجد الاستراتيجيّة الأميركيّة أنّه من الضروري تغيير أنظمتها عبر معهد معروف باسم «كانفاس» الغيلم، وضعفه التقني الظاهر، ونبرته المجلة لشارب بوصفه حكيم الحريّات، فإنّه وثيقة تاريخيّة هامة



في المكتبة العربية

جورج أورويك...

دونكيشوت على دراجة هوائية

خليك صويلم

للجماعة ضرورية، لكنها سامة للأدب»، وسيصف المثقف وسط دوامة الحروب والأضطرابات بأنه «محراب عصابات غير مرغوب فيه إلى جانب جيش نظامي». أهمية كتابات وأفكار ورسائل جورج أورويل تكمن في قدرته على إضاعة أكثر الأسئلة الياسا في ما يتعلق بعمل الكاتب ومهمته في فضح الأكاذيب وطمس الحوادث المادية وعفن الديكتاتوريات، من دون رياء فكري: «يعتقد الشموليون أن الكاتب، إما مجرد مضيّف مسل أو سائق عربة مرتشّ،

لا تقع استعادة جورج أورويل 1903 - 1950) عريبا اليوم، في باب الهوضة الأدبية، بقدر ما هي ضرورة جمالية في معنى إزاحة اللثام عن أكثر المويقات السياسية حضوراً في قرننا المضطرب: الدكتاتورية والاستبداد وتزيور التاريخ، وتاليا «تصنّف الكائنات البشرية كالحشرات». كتاب «جورج أورويل: الأعمال السياسية والأدبية» الذي سيصدر قريبا في مجلدين («دار نينوى»، ترجمة وإعداد أسعد الحسين) هو الحقيقة الخلفية لروايته الاستثنائيّين في تاريخ الأدب العالمي «مزرعة الحيوان»، و«1984». كان السعاد الذي خُصّب تريئه التخيلية المفرّعة والعبارة للأخيل والأمكنة، فما كان يصح أو رويياً في أربعينيات القرن المنصرم لجهة الاستبداد والعصبيات القومية والأوسان السياسية، يبدو في المعايير والمقاييس والسكران، كاتب نبوءات من طراز خاص، ذلك أن الخرائط المتخلّلة التي رسمها في زمنه بخصوص الأنظمة الشمولية والثورات المنهوية وأحوال الخنوع والاستسلام، تحوّلت اليوم إلى حقائق دامغة «الغث الديكتاتورية حرية الفكر، وباتت تملئ عليك ما ستفكّر فيه، فهي تخلّق لك إيديولوجيا، وتحاول التحكم بحياتك العاطفية، تحبسك في كون اصطناعي ليس لديك فيه أي معيار للمقارنة»، يقول.

كانت الحرب الأهلية الإسبانية (1936) بوصلتها الأولى في تفكيك وتشريح وهتك عنف السلطة وتزييفها للحقائق، مبرّراً هذه الانعطافة بقوله: «حين تكون على متن سفينة عارقة، لا يمكنك التفكير إلا بالسفن الغارقة». شيوعي مرتد، يساري حجباً، ومستقل حجباً آخر، بارجوحة من الأفكار المتضاربة في السياسة والنقد الأدبي، تبعاً لحركة الزلزال حينذاك، سيسندرك بان «الولاءات طواحين الهواء»

